الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

كلية الآداب واللغات

قسم دراسات لغوية وأدبية

ظاهرة الغموض في شعر بشار بن برد

مـذكـرة مـقـدمـة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب:

*غالي محمـد

إشراف الأستاذ:

د/ بوغازي حكيم

السنة الجامعية: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

كلية الآداب واللغات

قسم دراسات لغوية وأدبية

ظاهرة الغموض في شعر بشار بن برد

مـذكـرة مـقـدمـة لاستكمال شـهادة المـاسـتر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب:

غالي مُحَمَّد

إشراف الأستاذ:

بوغازي حكيم

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

وعليه نتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذتنا الفاضلة "بوغازي حكيم" على قبولها الاشراف على مذكرتنا والذي تابعنا بكل اهتمام وكان لنا نعم المرشد والموجه ولم يبخل علينا بأدنى مشورة فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما لا يفوتنا أن أنشكر اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث فلهم منا فائق الاحترام والتقدير.

ونود تقديم الشكر الى كل أساتذة كلية اللغة والأدب العربي – مستغانم-خاصة الذين درست عندهم وتعلمت منهم فجزاهم الله خيرا.

إهـداء

أهدي تخرجي هذا الى من وضع الله الجنة تحت أقدامها

الى نبع الحنان والطيبة التي رسمت في طريقي الأمان وأحسنت تربيتي "أمي الحبيبة" حفظها الله.

والى من وضعني على طريق الحياة وأنار دربي بنصائحه ووهبني الحياة والأمل، فلقد كان له الفضل في بلوغي

التعليم العالي "أبي العزيز"

الى إخوتي وأخواتي

الى كل من ساعدني في إتمام هذه المذكرة من بعيد أو قريب.

محمد

مقدمة

أبدع شعراء العصر العباسي في نظم الشعر وفق متطلبات نمط الحياة الثقافية والأدبية التي اتسم بها هذا العصر، دونا عن غيره من العصور، في ابتكار المعاني والصور الشعرية والألفاظ المنمّقة والمحسّنة بلمساتٍ جمالية بديعة، فعكست أشعارهم صورة ذلك العصر وخاصة في مراحل قوته واستقراره.

ويعرف الشعر بصفة عامة والشعر العربي على وجه الخصوص عديد المصطلحات والمفاهيم التي لازمت مواضيع الشعر شكلا ومضمونا، ونذكر من هذه المصطلحات اللغوية " الغموض" والذي هو ظاهرة فنية جمالية، تُضفي على الشعر بعضا من الابداع والتميز.

ويعدّ "بشار بن برد" شاعر العصر العباسي من الشعراء الذين تضمنت مواضيع ومضامين ديوانهم الشعري ظاهرة "الغموض".

وعلى هذا الأساس، سنطرح الإشكال التالي:

ماذا نقصد بمصطلح الغموض؟ وما أثره في شعر بشار بن برد؟

وتبعا لما تقدم وقع اختيار موضوع مذكرتنا الموسوم بـ:" ظاهرة الغموض في شعر بشار بن برد" وفق الأسباب الذاتية، التالة:

- ميولنا الشخصي في دراسة موضوع أساسه الشعر.
- التعرف على المصطلحات اللغوية التي صاحبت الشعر العربي.

أمّا الأسباب الموضوعية، نذكر منها:

- جدّة الموضوع المدروس.
- التعرّف على الشاعر العباسي "بشار بن برد" .
- إثراء مكتبة القسم بمراجع في هذا المجال.

وللإجابة على إشكالية دراستنا اعتمدنا على:

- خطة تتصدرها مقدمة ومدخل: ضمّ التعريف العام للشعر العباسي وأهم خصائصه.

و**الفصل الأول**: الموسوم ب:" **مصطلح الغموض في الشعر العربي**" تناولنا فيه تعريف الغموض لغة واصطلاحا، ومصطلح الغموض في النقد القديم، بالإضافة إلى الغموض والتجربة في الشعر الجاهلي.

ثم عرّجنا على **الفصل الثاني**: الموسوم ب " **تجليات الغموض في شعر بشار بن برد**" تطرقنا فيه إلى التعريف بالشاعر العباسي، وكذلك إلى غموض الألفاظ والتركيب في شعر بشار بن برد. وخاتمة جمعت أهم نقاط البحث في جملة من النتائج.

ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي الوصفي الذي وظفناه لتحليل بعض من أبيات الشاعر المتضمنة لمصطلح الغموض، وفرض نفسه نظرا لطبيعة الموضوع، بالإضافة إلى المنهج التاريخي بشكل خاص المناسب لدراسة شخصية الشاعر الذاتية والعملية.

ولقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا في البحث؛ أهمها: ديوان الشاعر "بشار بن برد، وكذا المعاجم اللغوية، والمجلات والمقالات العلمية.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا: قلة المصادر والمراجع التي اهتمت بدراسة مصطلح الغموض في الأعمال الشعرية لبشار بن برد على وجه التحديد.

وفي الأخير، نشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لنا إنجاز هذا العمل ونتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف " بوغازي حكيم " الذي كان لي سندا ومرجعا في إنجاز هذا البحث.

مدخل

ماهية الشعر العباسي

تمهيد:

العصر العبّاسيّ هو الفترة الزّمنية التي ظهرت فيها الدّولة العبّاسيّة على يد العبّاسيّين بعد سقوط الدّولة الأمويّة، ويمتدّ نسبها إلى العبّاس عمّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

قامت الدولة العبّاسيّة عام 132هـ على يد العبّاسيين، وقد أعدّوا لها في رويّةٍ وسريّةٍ، وسقطت الدّولة العبّاسيّة على أيدي التّتار إثر سقوط بغداد عام656هـ

1. مفهوم الشعر العباسي:

يُعرف الشعر العباسي على أنَّه إبداع فنيّ ظهر في فترة العصر العباسي، والذي كان يتأرجح منذ بدايته بين الطابع الأموي والطابع العباسي.

ويجدر بالذكر أنَّ العصر العباسي هو ذلك العصر الذي يمتد من عام 750م إلى عام 1258م، حيث بدأ حكم خلفاء بني العباس الذين بلغ عددهم 37 خليفة، بدءاً بالخليفة عبد الله بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب المعروف بالسفاح، وانتهاءً بالخليفة العباسي أبي أحمد عبد الله المستعصم بالله.[1]

[1]: www.mwdou3.com ، إيمان الحياري، مفهوم الشعر العباسي، مقال الكتروني، تاريخ النشر: 2018/11/01، تاريخ الزيارة: 2024/06/10، توقيت: 14:19.

أظهرت كتب التاريخ أنَّ العصر العباسي، أو ما يُعرف بالعصر الذهبيّ هو أحد العصور التي قُسمت إلى عدد من الحقب الزمنيّة، وعادة ما تُسمّى بالعنصر المسيطر، لذلك تمَّ تقسيم العصر العباسي إلى أربع حقب، وهي على النحو الآتي:

– **العصر العباسي الأول**: امتد هذا العصر من عام (132-232هـ)، وتميّز بسيادة الخلفاء الأقوياء من بني العباس، وهم الذين استطاعوا حسم النزاع بين العرب والفرس لصالح العرب.

– **العصر العباسي الثاني**: امتد هذا العصر من (232-334هـ)، وتمثل بسيادة الأتراك على ساحة الخلافة.

العصر العباسي الثالث: امتد ما بين (334-447 هـ)، وفيه ظهر نفوذ البويهيين على الساحتين السياسيّة والعسكريّة.

العصر العباسي الرابع: بدأ هذا العصر في عام 447هـ، وانتهى مع سقوط بغداد عام 656هـ، وفي هذا العصر ظهر السلاجقة على ساحة الخلافة.

2.1. عوامل ازدهار الشعر العباسي:[1]

تعددت عوامل ازدهار الشعر في العصر العباسي، ومنها ما يأتي:

– حب الخلفاء العباسيين للشعر، وتقديرهم للشعراء، حيث ساهموا في تشجيع الشعراء على نظم الأشعار وإنشادها، وأغدقوا الأموال والعطايا عليهم.

[1]: www.mwdou3.com ، إيمان الحياري، مفهوم الشعر العباسي.

– الثقافة العالية التي كان يكتسبها خلفاء العصر العباسي، ولقد شارك بعضٌ منهم في نظم الشعر وتدبيج النثر، وأصبحت مجالس الخلفاء ملتقى الأدباء والشعراء.

– التطوّر والتقدّم الحضاريّ في كل جانب من جوانب العصر العباسي، حيث تطوّرت التقاليد، والغناء، والطرب، والأدوات المستخدمة في الأكل، والشرب، والفراش، والترف، وأدوات الزينة وما إلى ذلك، وقد أدّى هذا إلى تنوّع موضوعات الشعر في العصر العباسي، ونظم الشعر في موضوعات جديدة.

– الحرية الواسعة التي دفعت الشعراء إلى النظم في مواضيع متعددة بعيدة عن الخلق والدين الإسلامي والمتمثلة بالمجون وظهور تيار الشعوبية.

2. خصائص الشعر العباسي:

حينما نتذكر الشعر العباسي نتذكر البيان وبراعة التصوير ودقة المعني وسمو الخيال واتساعه وكانت للشعر قيمته الكبرى في الجاهلية، وعظمت هذه المكانة في عصر بني أمية، ولكن الاختلاط في العصر العباسي، وامتزاج العرب بغيرهم كان له أثره الكبير على هذا النتائج الجديد في الأدب والفكر . وقد جمع الشعر العباسي بين فصاحة البداوة ورقة الحضارة وإبداعها، ونشأ عن ذلك شعراء تعلموا العربية، وسُمُّوا بالمولدين، وكان منهم العظماء كأبي نواس، وبشار بن برد[1] .

[1]: ياسمينة مُحَمَّد محمود عامر، خصائص الشعر في العصر العباسي، ع8، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، 2015، ص317.

وقد شجع خلفاء بني العباس العلم والأدب والفن، وكان للشعر نصيب الأسد من هذا التشجيع فعقدوا له المواسم، واستمعوا للقصائد، ومنحوا الجوائز والهبات، وبذلك توفرت الأسباب لتطور الشعر من اختلاط ثقافي وتشجيع مادي ومعنوي، فبلغ الشعر في هذا العصر غاية لم يبلغها قبله ولا بعده .فقد رقت الألفاظ والأساليب واستحدثت المعاني البارعة ونظم الشعراء في أغراض جديدة لم يسبق أي نظم الشعراء فيها .كما جددوا الأغراض القديمة واطفوا عليها من براعتهم حلالاً جديدة بعد الصقل والتهذيب.

1.2. ألفاظ الشعر وأساليبه:

أما ألفاظ الشعر وأساليبه فقد نهل شعراء هذا العصر من العربية حتى ارتووا، وحفظوا من عيون الشعر العربي القديم والجديد، وعاشوا في وقت ازدهار اللغة وعنفوان مجدها، لذلك كله فقد هجروا الشعراء الألفاظ الغريبة والوحشية، وابتعدوا عن التراكيب الغامضة والعبارات الملتوية وقل أن يحتاج المرء إلى معجم حين يقرأ لشاعر من الشعراء ليكشف عن معني اللفظ أو الهدف من التركيب يحسنون الفارسية كأبي نواس، فقد كانت العربية تتعمق جوهر نفسه، وذلك بفضل اللغويين الذين زودوه بها، وبفضل إقامته بالبادية، وحفظه لكثير من دواوين الشعر القديم. حتى قالوا إنه يحفظ دواوين ستين امرأة فضلا عن الرجال، ويشبهه في هذا بشار الفارسي الأصيل وزعيم الشعراء المحدثين.[1]

[1]: ينظر: المرجع السابق، ص317.

فالشاعر العباسي بقي محافظا على عربيته حتى في أسلوبه المولد الذي يميل إلى الرقة والسهولة والوضوح، مع جودة السبك وإبداع المعني، وقد نشأ هذا الأسلوب بدافع التحضر في العصر العباسي وهو أسلوب يقوم على أساس من القديم وعدة من الذوق الحضري الجديد، أسلوب يحافظ على مادة اللغة ومقوماتها ويلائم بينها وبين حياة العباسيين المتحضرة، فتنفي الألفاظ العامية المبتذلة، كما تنفي الألفاظ الغريبة والوحشية، فكان بذلك أسلوبا من الغرابة والابتذال، بين لغة البدو والزاخرة بالكلمات الوحشية ولغة العامة الحافلة بالكلمات المبتذلة. وكان بشار أول زعماء هذا الأسلوب.

وفيه يقول بن المعتز:" كان شعره أنقى من الراحة، وأصفى من الزجاجة، وأسلس على اللسان من الماء العذب".[1]

وتميز هذا الأسلوب المولد أيضا بمحاولة استبعاد المقدمة للقصيدة والتي ظلت ورثة منذ الجاهلية حتى العصر العباسي، وفيها يصف الشاعر الأطلال ويستطرد إلى وصف الصحراء والراحلة التي يركبها والحيوان الذي شاهده في الطريق، إلى أن يصل إلى غرضه المقصود، وقد تكون هذه المقدمة نسيبا يجعله الشاعر كتشويق لموضوعه.

[1]: محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الطباعة المحمدية القاهرة، د.ت.ط، ص71.

2.2. المعاني:

فكان للحياة في العصر العباسي أثر كبير على معاني الشعر وأخيلته، وقد فرضت الحياة العباسية نفسها على العباسيين فرضا، ولم يقف الشعراء مكتوفي الأيدي حيال ما يجري حولهم من تطور وقد تطورت الحياة الاجتماعية والفعلية في هذا العصر تطورا كبيرا وكان للحضارة المادية والعقلية أثرها الكبير على معاني الشعراء وأخيلتهم، فقد أصبحت الحضارة المادية معينا لا ينضب استمد منها الشعراء أخيلتهم الفسيحة ومعانيهم المبتكرة فهم يعيشون في مدن تحفل بمظاهر الأبهة والترف وتمتلئ بالغناء والغزل والمجون، ذلك إلى طبيعة جميلة ورياض غناء وحدائق مزهرة، ففجرت هذه المشاهد قرائح الشعراء وسمت بخيالهم، وارتفعت بمعانيهم، فأحسنوا التشبيه والمجاز والكناية، وأبدعوا في الاستعارةً والمبالغة المقبولة.[1]

وإنما يحلق الخيار بعيدا حينما يتهيأ له الأفق الرحب فبعد ما كان الشاعر يبتدئ قصيدته بالوقوف على الأطلال بدل ذلك بوصف الطبيعة من أزهار وقصور وبساتين بل إن بعض الشعراء خص وصف جمال الطبيعة بمقطوعات كاملة.

وكان أثر الحياة الفعلية في هذا العصر كبيرا على المعاني والأخيلة، ونستطيع تلخيص تطور المعاني والأخيلة في النقاط التالية:

[1]: ينظر: المرجع السابق، ص83،85.

1. جدّد الشعراء في هذا العصر بعض المعاني القديمة بما تمليه عليهم جد حضارتهم فزادوا ونقصوا، وأو جزوا وأطنبوا، وصبغوا المعاني بصيغة جديدة حتى كأنها من صنعهم، فهذا النابغة يصف قدرة النعمان بقوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ويأتي سلم الخاسر ليبدع في المعني نفسه فيقول:

فأنت كالدهر مثبوتا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا مهرب

ولو ملكت عنان الريح أصرفها في كل ناحية ما فاتك الطلب

2- ابتكار المعاني ودقتها واستقصائها، وهذا الابتكار للمعاني لا يعد ولا يحصى، فقد ابتكر الشعراء العباسيون من المعاني الجديدة ما لا يحصر وذلك بسبب كثرة مشاهدتهم وتنوع ثقافتهم واتصفت مع جدتها بالجمال والإبداع، يقول بشار بن برد يتحد عن عشق الأذن:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهذي؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا. [1]

وهذا أبو تمام يستقصي المعنى في تكذيب المنجمين:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب. [1]

[1]: بشار بن برد، الديوان، تح: محمد بن الطاهر عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، د.ت.ط، ص741.

3-قوة التصوير وبراعة الخيال : [2]نتيجة للحياة العقلية التي أثرت في خيال الشاعر العباسي وأملت عليه الدقة والبراعة، وهذا بشار يصف الجيش والقتال ويبدع أكثر من إبداع المبصرين فيقول :

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطي حمر ثعالبه

غدونا له والشمس في خدر أمها تطالعنا والطل لم يجر ذائبة

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه وتدرك من نجي الفرار مثالبه

كأن مثار النفع فوق رؤوسنا وأسيا قنا ليل تهاوى كواكبه.[3]

4-ظهور أثر الفلسفة والثقافات على الشعر، لأن الشاعر العباسي قد قرأ تلك الكتب المترجمة من هندية وفارسية ويونانية، وحضر مجالس أهل الملل والنحل وما يدور فيها من الفلسفة والمنطق، وعلم الكلام الذي يعتمد على الفلسفة لم ينشأ إلا في هذا العصر، فطبعت معاني الشعراء بطوابع عقلية دقيقة، وأوردا في هذه المعاني البراهين العقلية، واعتمدوا على التعليل، يقول أبو نواس في وصف الخمر :

وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبه الشك

[1]: أبي تمام، الديوان، تح: مُحَمَّد عبده عزام، دار المعارف، د.ت، 1969، ص189.
[2]: ياسمينة مُحَمَّد محمود عامر، خصائص الشعر في العصر العباسي، ص319.
[3]: بشار بن برد، الديوان، ص123.

ويظهر أثر المذاهب الكلامية على ألسنة الشعراء كقول أبي تمام يمدح أبا سعيد التغري :

عمري عظم الدين جهمي الندى ينفي القوى ويثبت التكليفا

ويبدو التعليل وإدلاء البراهين واضحا عند الشعراء، وهذا بشار يقول:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبال أن تعد معايبه.[1]

ويقول أبو تمام معللاً لضيق ذات يده:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي.[2]

كثرة الحكم والأمثال، وشيوع المبالغة والتهويل، وقد يكون سبب ذلك الاقتباس من الثقافات المترجمة، ويقال إنه كان في ديوان صالح بن عبد القدوس ألف مثل للعجم وكان لأبي العتاهية أرجوزة تسمي (ذات الأمثال) تضم أربعة آلاف، مثل وحكمة[3].

أما المبالغة فقد ظهرت لأسباب عدّة منها: التأثير بالفرس لغرامهم بالمبالغة والتفتح أمام آفاق الحضارة الجديدة، وتشجيع الخلفاء لهذه المبالغات يقول أبو تمام في مدح المعتصم عندما فتح عمورية :

لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب

[1]: بشار بن برد، الديوان، ص99.
[2]: أبي تمام، الديوان، ص39.
[3]: www.factorypdf.com

وكانت المبالغة قد وصلت إلى غايتها في العصر العباسي الثاني عند المتنبي ومعاصريه.

وبراعة الاستهلال وحسن الانتقال ظاهرتان اتصف بهما الشعر العباسي إلى جانب تلك الظواهر العديدة التي تحدثنا عنها.

الفصل الأول

مصطلح الغموض في الشعر العربي

تمهيد:

يُعرف عن اللغة وعلى اختلافها، على أنها لغات تواصل يتم عن طريقها استخدام وسائل من شأنها أن تُعزز من هذه العملية، ونقصد هنا الكلام المباشر والكتابة الواضحة.

إلا أن أنه قد تعرف اللغة أو تطرأ عليها مصطلحات لغوية وأدبية تُعرقل نوعا ما من ظهور واضح للغة وفهمها بالشكل المباشر، وهذا ما يُطلق عليه في اللغة العربية بـ "الغموض" والذي نعني به لفظ لغوي يتواجد داخل النظام اللغوي بناء على دلالات معينة يقوم بها في ثنايا النص الأدبي شعرا كان أو نثرا.

1. تعريف الغموض:

تناولت المعاجم العربية القديمة لفظ الغموض من خلال استخداماته اللغوية المختلفة

أ. لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (غَمَضَ):" الغمضُ والغامِضُ المنخفض من الأرض، وفي الحديث: كان غامضا في الناس، أي مغمورا غير مشهور، ويقال: للرّجل الجيّد الرّأي: قد أغمض

النّظر أو جاء برأي جيّد، وأغمض في الرأي: أصاب. مسألة غامضة: فيها نظر ودقة، ودار غامضة إذا لم تكن على شارع، ومعنى غامض: لطيف".[1]

وردت لفظة الغموض في معجم العين، بمعنى:" الغِماضُ النوم، وأمر غامض، غمض غموضاً، والغامِضُ من الرّجال: الفاتر عن الحملة، وحسب غامض غير معروف، وخلخال غامض في السّاق غموضا والغموض بطون الأودية".[2]

وقال الرازي في شرح مادة (غمض):" الغامض من الكلام ضد الواضح، وغَمضَ عنه إذا تساهل عليه في بيع أو شراء، وأُغمض...حطّ عني من ثمنه، وانغماض الطّرف: انغضاضه".[3]

ب.اصطلاحا:

أثار مصطلح الغموض ضجة من القلق والاضطراب ويعود ذلك إلى صعوبة تحديد مفاهيمه ومعرفة غايته وأهميته والكشف عن طبيعته.

- **عند القدماء:**

الغموض يعد ظاهرة من الظواهر التي لفتت انتباه القدماء من مفسرين ولغويين ونحاة وأصوليين وبلاغيين فقاموا بدراستها ورصد مظاهرها، واستخدموا في ذلك مصطلحات عدة لها، ولكنّهم اتفقوا جميعا في تناولهم لهذه الظاهرة من خلال التحليل اللغوي للمبنى بما له من صلة بالمعنى، والغموض

[1]: أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، م5، 1997، ص78.

[2]: الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، م3، 2003، ص331.

[3]: مُحَمَّد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب الحديث، الويت، ط1، 1998، ص145.

عندهم هو ما لا يدل على المعنى ولا يوضحه وإيصال المعنى واضحا مفهوما يعد جزءا أساسيا في عملية الاتصال الذي تتحقق به العلاقات الإنسانية التي يجب أن يتوفر فيه شرط الوضوح والبيان.[1]

يقول الجاحظ:" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى".[2]

أما أبو هلال العسكري فقد عالج مسألة الغموض من وجهة نظر بلاغية اعتمدت الوضوح الكامل للكلام سواء منظوما أو منثورا فيقول: "ومما يؤيد قولنا إن البلاغة إيضاح للمعنى وتحسن للفظ: قول بعض الحكماء: البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام.. ".[3]ويرى العسكري أن الغموض بالنسبة للبلاغيين هو بيان وايضاح في الكلام سواء شعرا أم نثرا.

وقد عرفه "إمبسون" بقوله:" الغموض يمكن أن يعني عدم القطع فيما تعني أوتراه كأن تعني أشياء كثيرة أو احتمال أن تعني هذا أو ذاك أو كليهما معا وحقيقة إن جملة لها عدة معان".[4]

فأهمية الغموض عند "امبسون" تتجلى في معان متعددة ومتنوعة وذو اقتراحات مختلفة.

يقول "سترا فنسكي":" إن في تعذر الفهم نوعا من المجد".[5] ولا يقصد بتعذر الفهم الإبهام ولكن هو يعني توليد إشكاليات جديدة، والاستقرار في البحث عن كل ما هو بارز فيه لإزالة الغموض.

ومجمل مفهوم القدماء في تعريفهم لمصطلح الغموض، نلخصه فيما يلي:

---

[1]: مُحَمَّد سالم علي الرجوبي، المصطلحات الدالة على الغموض عند قدماء اللغويين والنحاة والبلاغيين-دراسة معجمية دلالية-نماذج مختارة، ع27، مجلة البحوث الأكاديمية، 2023، ص48.

[2]: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ص76.

[3]: أبوهلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ط2، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت، ص33.

[4]: وليام إمبسون، سبعة أنماط من الغموض، تر: صبري مُحَمَّد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2000، ص15.

[5]: ينظر: المرجع نفسه، ص19.

- غموض المعنى وتعدده واحتماله ظاهرة واضحة في اللغة بالمستويين المنطوق والمكتوب.
- الغموض في الكلام قد يقع بسبب بنية الكلام أو بسبب المتكلم أو السامع.
- احتمال وقوع الغموض في النصوص المكتوبة أكثر منه في اللغة المنطوقة وذلك لقابلية اللغة المكتوبة للتصحيف والتحريف.
- قد يقع الغموض لأكثر من سبب، كغموض البنية الصوتية للكلام واحتمال أكثر من معنى لبعض الألفاظ، أو عدم وضوح المعنى لتعقيد في التركيب النحوي أو غموض في الصورة الفنية المشتملة على تشبيه أو استعارة غير مألوفة في كلام الشعراء المحتج بشعرهم.[1]

- **عند المحدثين والمعاصرين:**

حصر علماء اللغة المحدثون والمعاصرون مصطلح الغموض في البنية اللغوية فقالوا:" إن البناء اللغوي الذي يقال عنه إنه غامض هو البناء الذي يحتمل أو يرتبط به أكثر من معنى".[2]

أما عزالدين إسماعيل فيذكر تعريفه للغموض بقوله إنه: "صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية أي قبل الصياغة النحوية".[3]

في حين يقول إبراهيم رماني في حديثه عن الشعر والغموض والحداثة أن:" الغموض إذن حقيقة واجبة الوجود في النص الشعري يتموضع في قلب السياق الإنشائي الذي يكتفي بذاته ويخفق هويته

[1]: مُحَمَّد سالم علي الرجوبي، مرجع سابق، ص48.

[2]: مُحَمَّد سالم علي الرجوبي، المصطلحات الدالة على الغموض عند قدماء اللغويين والنحاة والبلاغيين، ص50.

[3]: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر-قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، بيروت، ص183.

بعيدا عن مراهنات الواقع وقواعد الاستدلال المنطقي الواضح، إنه طاقة الإبداع في النص التي تفتح مداه على عوالم لانهائية".[1]

2. مصطلح الغموض في النقد القديم:

إن قضية الغموض تعد مسألة جوهرية من قضايا النقد الأدبي، وهي من أهم دوافع الحراك النقدي في القديم والحديث، فهي تشكل علامة بارزة في الدرس النقدي.

قضية الوضوح والغموض في الشعر قضية قديمة قِدم الشعر نفسه، جذورها ضاربة في أعماق القِدم منذ نشوء الأدب في العصر الجاهلي، حيث كانت السمة الغالبة على الأدب آنذاك الوضوح نظراً، لأن تفكير العربي بعفويته يميل إلى الوضوح وينفر من الغموض، حيث كانت الحياة البدوية الساذجة لها أثرها في طبع فكر البدوي بالبساطة والوضوح، فجاء تبعاً لذلك أدبه بعيداً عن التعقيد قريباً إلى الوضوح نظراً لبساطة الحياة التي يعيشها في أحضان الطبيعة المكشوفة، مما قد يُعد سبباً يُفسر به صفاء فكر العربي ووضوحه بشكل عام، لكن وإن كان الوضوح هو السمة الغالبة في الشعر فقد تسرَّب شيء من الغموض إلى الشعر في مرحلة من مراحل[2] .

[1]: إبراهيم رماني، الشعر، الغموض، الحداثة (الد راسة في المفهوم)، ع7، ص21.

[2]: مسعد عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، مكتبة الملك الوطنية، السعودية، ط2، 1996، ص51.

ثم برزت قضية الوضوح والغموض بشكل عميق في العصر العباسي مع ظهور المحدثين ومذهبهم في الصنعة والبديع، وأشار النقد إلى أبي تمام على وجه الخصوص بأنه شاعر يؤثر الغموض، إذ يعقد المعنى ويبالغ، ويبعد في الصور.

ويستعمل الغريب من الألفاظ.وخير دليل على ذلك الحوار الذي دار بينه وبين ناقديه أبي سعيد الضرير وأبي العميثل عندما استمعا إلى شعره فقالا له: "لم لا تقول ما يُفهم؟" فكانت إجابته التي استُظرفت: "لم لا تفهمان ما يقال؟".

يميل أصحاب البحتري إل حلاوة اللفظ، وحسن التخلص ووضع الكلام في مواضعه، وصحة العبارة، وقرب المأتى، وانكشاف المعاني. أمّا أصحاب أبي تمام فيميلون إلى غموض المعاني ودقتها، مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج.

لهذا، عاب أصحاب أبي تمام مَن أعرض عن شعر صاحبهم، بعدم الفهم وقصور العلم، ويستشهدون على دعواهم بابن الأعرابي، الذي كان يردّ على (أبي تمام) من معانيه ما لا يفهمه، ولا يعلمه، فكان إذا سُئل عن شيء منها، يأنف أن يقول: لا أدري، فيعدل إلى الطعن عليه.[1]

وأصحاب أبي تمام يعترفون بأن صاحبهم قد أتى في شعره بمعان فلسفية، وألفاظ غريبة، فإذا سمع بعض شعره الأعرابيّ لم يفهمه، فإذا فسّر له فهمه واستحسنه.

[1]: مُحَمَّد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي، دار الوفـاء، الإسكندرية، ط1، 2001، ص98.

ويرد أصحاب البحتري ليردّوا على خصومهم دعاواهم، فالعلماء الذين يقصر عليهم فهم شعر صاحبهم، هاجموا أبا تمام شرّ هجوم. أما قصور فهم ابن الأعرابي عن شعر أبي تمام، فالعيب والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام، إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابن الأعرابي وأمثاله. هذا، على حين تعمّد (البحتري) حذف الغريب والوحشي من شعره، ليقرّبه على فهم من يمدحه لهذا، وقع الإجماع على استحسانه واستجادته، وروى شعره واستحسنه سائر الرواة، على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم. فمن اتفق عليه الناس جميعا هو أولى بالفضل، وأحقّ بالتقدمة.

إن الحجج التي تقدّم بها الطرفان المتخاصمان، تضعنا أمام قضايا هامة في النقد العربي القديم.

وهي أن جودة الشعر في نظر أنصار القديم رهينة تقبل الناس، فمن قبل الناسُ شعرَه هو دون شك أفضل. هذا يعني يستوجب على الشاعر، أن يتفق شعره وذوق المتلقين. وحتى يتم ذلك، ينبغي أن يكون واضحاً مفهوماً، وهذا ما فعله البحتري حين تعمّد حذف الغريب والوحشي من شعره.

ولو تكلمنا عما طرحه النقاد عن الغموض، نجد أن صاحب الفكر الثاقب عبد القاهر الجرجاني (471هـ) ينظر لقضية الغموض في الشعر بعين الاعتدال فقد استحسن الغموض في الشعر وليس بأي غموض، بل ذلكم الغموض المبني على التعقيد الفني الذي ينم عن قدرة فنية فذة، فرأى أن وضوح المعنى لا يتعارض مع المعنى اللطيف الذي يتوصل إليه بشيء من التفكير فيؤسس الجرجاني لفكرته هذه ليصل إلى ما مفاده أن الصورة لا بد أن تتميز بشيء من الغموض من خلال تباعد

أطرافها مع كون هذا التباعد مقبولاً عقلاً ولذلك فعبد القاهر يشبه هذا النوع من الغموض في الصورة والغوص على معناه بالجوهرة النفيسة داخل الصدفة فلا يحصل عليها إلا ببذل الجهد لشق هذه الصدفة.[1]

ظل النقد العربي، بل الثقافة العربية الإسلامية عامة، تميل إلى الوضوح، وتحث عليه، وتعيب الغموض والتعقيد بأشكالهما كافة، وتستهجن كل ما يمكن أن يكون سبباً فيهما: كوحشي الألفاظ، وغرابة المفردات، والمعاضلة في التركيب، والتقديم والتأخير من غير سبب بلاغي، والبعد في الاستعارة، وعدم المقاربة في التشبيه وإدخال الفلسفة والمنطق، وما شاكل ذلك.

قال بشر بن المعتمر: " إن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك في نفسك، على أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف على الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام".

وتحدث بشر عن ثلاثة منازل للمعاني، وجعل " أولى ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذباً، وفخماً سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت، وأما عند العامة إن كنت للعامة أردت".

وسئل بعض العلماء: ما الشعر عندك؟ قال: السهل الممتنع.

وقال أبو هلال العسكري: "من أراد الإبانة في مديح أو غزل أو صفة شيء، فأتى بإغلاق، دل ذلك

[1]: ينظر: المرجع السابق، ص98،100.

على عجزه عن الإبانة".[1]

وقال الآمدي في التعقيب على بيت أبي تمام:

جهمية الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

ما زلت أسمع الشيوخ يقولون: هذا البيت من تخليطه ووساوسه، لأن الشعر أنما يُستحسن إذا فُهم. وهذه الأشياء التي يأتي بها منغلقة، ليست على مذهب الأولين والمتأخرين.

وذكر الثعالبي من عيوب المتنبئ استعماله لألفاظ المتصوفة، واستعمال كلماتهم المعقدة، ومعانيهم المغلقة، من مثل قوله في وصف فرس:

وتسعدُني في غمرة بعد غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهد

كما عد من عيوبه – بسبب تعقيده – ا لخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة.

ودعا النقاد الشعراء أن يجتنبوا من القول كل ما يُعتذر عن عدم وضوحه.

قال أبو بكر الشنتريني: "الأولى بالشاعر أن يجتنب كل ما اعذر منه، فقد قيل: شر الشعر ما سئل عن معناه، وأحسنه ما كان لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك".

وتحدثت طائفة من العلماء عن الصور الفنية التي يأتي بها الشعراء، فربطوا جمالها بالوضوح، وقدرتها على كشف الغامض، قال الرماني :"التشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح. والقبيح

[1]: مُحَمَّد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي، ص100.

خلافه. وأحسن التشبيه ما قارب الحقيقة وكان أبلغ منها".[1]

وقال أبو بكر الشنتريني: كلما بعدت الاستعارة عن الحقيقة قُبحت، كقول بعضهم:

اسفري لي يا ضرّة الشمس

كأنه توهم أن الضرة لا تكون إلا حسنة. وهذا وهم شديد، وتوهم غير سديد.. ومن قبيح الاستعارة قول بشار[2]:

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرها وقدت لرجل البين نعلين من رجلي

فجعل للوصل رقاباً، وللبين رجلاً. وهذا بعيد جداً .

وعرف الشعراء أن رواج شعرهم عند المتلقي مقرون بالوضوح وقال البحتري يمدح قصائده بالابتعاد عن الغموض والتعقيد:

خزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن به غاية المراد البعيد

3. الغموض والتجربة الشعرية للشاعر الجاهلي:

[1]: مسعد عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، ص63.

[2]: بشار بن برد، الديوان، ص58.

برزت معالم الغموض عند الشعراء القدامى أمثال إمرؤ القيس، وقد برز بصورة واضحة في الصورة فالصورة تعد عنصرا مهما للتأثير في المتلقي وابراز المعنى، وتتعدد التراكيب الوصفية لهذا المصطلح فهناك إلى جانب الفنية نجد مصطلحات الصورة الأدبية والشعرية والبيانية والمجازية والخيالية

يقال: "الصورة الشعرية أصبحت تحمل لكل إنسان معنى مختلفا كأنها تعني كل شيء ".[1]

الصورة: ويتبين لنا الغموض من التصوير الذي عاد إليه امرؤ القيس، غير أن الكثير من النقاد يرون أن وظيفة الصورة من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها في الشعر الجاهلي أنها في الكشف والإيضاح.

ويعتبر امرئ القيس من أبرز الشعراء الذين لجأوا إلى الغموض في شعره، فيقول:[2]

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقد شبه الليل بموج البحر، وأكثر الشراح يرون أن الجامح الظلمة

يقول الأنباري:" أظلم الليل حتى كأنه موج البحر في ظلمته ".[3] فالموج ليس فيه ظلام فهو واضح وشفاف، فالتشبيه لا يكون مباشرة فهو يريد أن يقول ليلي بهمومه كالبحر بموجه، ووظيفة الشعر أشمل من التوضيح، فهدف الشاعر التعبير عن حالته النفسية، وليس هناك صورة أكثر تعبيرا عن همومه وتتابعها التي منعت عنه النوم من تتابع الموج.

[1]: ww.factorypdf.com

[2]: ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى إمرئ القيس، دار الآداب، ط2، 2008، ص19.

[3]: مسعد عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، ص49.

الدلالة: الليل/والبحر: استدعاء الشاعر الليل والبحر، فظلام الليل وعتمته يشاغل ذات الشاعر التي انتقلت من السكينة والاستقرار، فالبحر رمز للخوف والرهبة لما يحماه من أمواج، فهو مصدر رعب وقلق ربط الشاعر امتداد الموج بامتداد الهموم التي تصاحبه "أنواع الهموم".

يقول الشاعر: ألا أيها الليل الطويل ألا إنجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

المعنى: يطلب الشاعر من الليل أن ينكشف ليظهر من خلاله الصباح ولكنه يعود إلى حالته فيتذكر مداهمة الهموم في النهار.

ويرى الأنباري أن معنى قوله: "وما الإصباح منك بأمثل".[1] معناه إذا جاء الصبح وأن فيك فليس ذلك بأمثل، لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد، وأرى أن المعنى ليس بدلالة، فما فائدة أن يعيب الليل والأقرب أن يؤول (بأمثل) بأحسن أو خير منك.

ويورد ذلك الرواية الثانية بأفضل فهو لا يفاضل بين ليله ونهاره لمصاحبة همومه في كليهما، بل الليل أستر له وأخفى لكثرة المطاردين له كالنعمان ابن المنذر وقبيلته ابن أسد .فالغموض جاء من كلمة أمثل فهي تمثل الغموض الصادر من حيرة الشاعر فال يعرف أين الخير، أهو في الليل أم من الشر.

[1]: ينظر: المرجع نفسه، ص49.

الفصل الثاني

تجليات الغموض في شعر بشار بن برد

1. التعريف بالشاعر:

هو بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخر شيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب. وكان يرجوخ من طخارستان ، سباه المهلب بن أبي صفرة ، وجاء به إلى البصرة وجعله من قِن امرأته خيرة القشيرية فولد عندها ابنه برداً فلما كبر برد زوجته خيرة، ووهبته لامرأة من بني عقيل، من قيس عيلان كانت متصلة بها، فولدت له امرأته بشاراً. فأعتقته العقيلية لأنه ولد ضريراً. فانتسب إلى بني عقيل بالولاء ولُقب بالمرعث وكنّي بأبي معاذ.[1]

أ. مولده ونشأته:

وُلد بشار بن برد يرجوخ بالبصرة لأوائل العقد العاشر من القرن الأول للهجرة. وجدُّه يرجوخ من طخارستان ممن سباهم الملهب بن أبي صفرة والي خراسان (79 -81م). ومن أجل ذلك نشأ ابنه برد على الرق. وكان أولا في عداد رقيق خيرة القشيرية امرأة المهلب، ثم وهبته لامرأة بن بني عقيل، وفي ملكها ولد له بشار على الرق، ولم تلبث العقيلية أن أعتقت برداً. ولذلك عُد هو وابنه في موالي بني عقيل. وقد نسب نفسه من جهة أمه إلى الروم، إذ يقول:[2]

وقيصر خالي إذا عددتُ يوماً نسبي

---

[1]: www.elmaerefa.com

[2]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعار، القاهرة، ط10، 1999، ج05، ص114.

وإن صح ذلك كان فارسي الأب رومي الأم، وقد ذكرها حماد عجرد في بعض أهاجيه لبشار باسم غزالة.

ج. شعره

قال الشعر وهو ابن سبع سنين. وكان منذ ذلك الحين يميل إلى الهجاء. فكان إذا هجا قوماً جاءوا أباه فشكوا إليه، فيضربه ضرباً مبرحاً فكانت تقول له: أمه لم تضرب هذا الغلام الصغير الضرير. أما ترحمه؟ فيقول: بلى والله إنني لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلي. [1]

فسمعه بشار فطمع فيه وقال: إن هذا الذي يشكونه إليك مني هو قولي الشعر وإنني إن أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلي. فإذا شكوني إليك فقل لهم أليس الله عز وجل يقول (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَج). فلما أعادوا الشكوى قال لهم ذلك. فانصرفوا وهم يقولون (فقه) برد أغيظ لنا من شعر يشار). فلما بلغ الحلم بدا قويا كل القوة في فنه. مجيدا كل الاجادة في شعره. فطار صيته، وارتفع قدره، ولكنه كان ثقيلاً يُخشى، وخشنا يخاف يكاد لا يوجد له نظير في قوة ذكائه، وحدة عارضته، ولذلك يقول عن نفسه:

عميت جنينا، والذكاء من العمى فجنت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم رافدا لقلب إذا ما ضيع الناسُ حصلا

وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

[1]: أحمد حسين القرني، بشار بن برد شعره وأخباره، مطبعة الشباب، د.ت.ط، ص11.

طرق كل باب من أبواب الشعر التي فتحت قلبه ثم زاد عليها، وقد اتفق رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً رئيس طبقة المحدثين والمحدثون أو المولدون هم الشعراء الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فعالجوها بالصناعة وميزتهم في شعرهم توليد المعاني، ودقة، الأغراض ورقة الألفاظ، وجمال الصنعة، وقد عُدَّ بشار أسبقهم إلى المجون البذيء، والغزل. الرقيق وشعره هو الحد الأوسط بين الشعر القديم، والشعر الحديث وكان الأصمعي يشبهه بشعر الأعشى والنابغة لسلامته من الخلل، وخلوه من التعقيد.[1]

د. **وفاته:**

أجمع الرواة أنه مات مقتولاً بأمر من الخليفة المهدي حيث رماه بالزندقة وجملة الخبر أن المهدي حنق على بشار لهجائه له وأخفى له في صدره كرهاً عظيماً. وحين زار المهدي البصرة متفقداً أحوالها وصل إلى البطائح ومرّ بدار بشار وكان أبو معاذ على سطح بيته سكراناً. فعلم بحضور المهدي، وخاف أن يراه على حاله من السكر. فراح بشار يؤذن فقال المهدي: من هذا الذي يؤذن في غير الوقت؟ قالوا: بشار قال علي به وحين مثل بين يده قال يا زنديق هذا من بذائك. تؤذن في غير الوقت. ثكلتك أمك ثم أمر بصاحب الزنادقة وهو ابن نهيك وقيل مُحَمَّد بن عيسى بن حمدويه. فأخرجه معه في زورق وأمر الجلادين أن يضربونه ضرباً متلفاً. وجعل بشار يقول كلما وقع عليه السوط حسن وهي كلمة تقولها العرب عند الألم. فقال بعض الراكبين: انظروا إلى زندقته ما تراه يحمد الله. فقال بشار: أثريدٌ

[1]: عبد الله التطاوي، القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.ط، ص31.

أحمد الله عليه وضرب سبعين سوطاً حتى مات وألقي من على السفينة فحمله الموج إلى شاطئ البصرة.

فحمله أهله ودفنوه وما تبع جنازته سوى أمة سوداء من السند كانت تصرخ وتقول: واسيداه واسيداه. وقيل إن أهل البصرة سروا لموته. ونجاتهم من لسانه. وهنا بعضهم بعضاً وتصدقوا وأغلب المؤرخين يقولون إن وفاته كانت في السنة الثامنة والستين بعد المائة للهجرة.[1]

2. غموض الألفاظ:

أ. من حيث غرابة الألفاظ:

اللغة هي التي ترشح صاحبها ومعانيه واختيار ألفاظه بلغة جمالية نظم الشعر، ومن اللغة يمكن أن يضع الشاعر حاسته الفنية:" فألفاظ المبدع ومعانيه جزلة فخمة وأن يكون نظمه متينا، وأن تكون فيه مع ذلك عذوبة". فاللغة في مضمونها الأول والأخير هي التي يشتغل عليها الناتج الأدبي "الشعر".[2] تدل لغة بشار على الحياة التي كان يعيش فيها أي الحياة الفكرية فاللغة تنبع ثقافة الأمة، إذ يرى أحمد أن اللغة:" تنمو وترتقي تبعا لرقي الأمة".[3]

لقد استودع الشاعر الكفيف معظم ما وعته أذنه من غريب اللغة، فقد فاخر بشار يتلقي هذه اللغة في حجور بني عقيل، كما أنه أجاد التحدي حين سخر من عدم إجادته الرجز فنظم قصيدة طويلة

---

[1]: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص201.

[2]: مُحَمَّد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، 1972، ص145.

[3]: أحمد أمين فجر الإسلام، البحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الآموية، مكتبة النهضة المصرية، ط08، 1975، ص43.

أودعها الكثير من الغريب، فقد روى صاحب الأغاني: « كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يأتيان بشار وسليمان بغاية التعظيم، ثم يقولان : يا أبا معاذ من أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه، متواضعين له، حتى يأتي وقت الظهر ، ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوما فقالا له: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال : هي التي بلغتكما ، قالا: بلغت أنك أكثرت فيها من الغريب، فقال نعم: بلغني أن سلما يتباصر بالغريب، فأجبت أن أورد عليه ما لا يعرفه .

قالا: فأنشدناها، فأنشدهما:

بكرا صاحبي قبل الهجير * إن ذاك النجاح في التبكير.**

حتى فرغ منها، فقال له :خلف لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذاك النجاح في التبكير"، "بكرا فالنجاح في التبكير"، كان أحسن، فقال بشار : بنيتها أعرابية وحشبة، فقلت: « إن ذاك النجاح في التبكير كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت بكرا" فالنجاح" لكان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك الكلام ولا ينحل في معنى القصيدة.[1]

فبشار هنا اعتمد على معرفته بغريب اللغة وحسب، ولم يكن يكتفي في تحقيق تلك الصورة البدوية التي يصوغ قصيدته فيها بمجموعة من الألفاظ البدوية الغريبة، يحشدها في قصيدته، أذن السامع العابر

[1]: عدنان عبيد الله، شعر المكفوفين في العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص143.

ولكنها هي سليقته العربية البدوية التي تعرف كيف تجعل من فتخدع قصيدته كلا مؤتلفا اجتمعت له البدوية كاملة من الألفاظ والصيغ والمعاني والصور .

ولأن بشار كان واسع الدراية باللغة العربية، متمكنا منها أجاد في صياغة ألفاظه الفصيحة والصريحة واختار أدق المعاني ولاعب التراكيب ككبار البلغاء، كذلك تفنن في الغريب والتصعيد اللغوي .

3. غموض التركيب:

لقد أتى بشار بن برد بتراكيب جديدة لم تكن معروفة في الأدب من قبل وكانت هاته التراكيب تعرف بالجمالية والابداع والتناسق، حيث نجد مصطفى السيوفي يقول:" فبدأ شعره جزل اللفظ جميل التصوير سلس التعبير".[1]

فقد عمد بشار بسعة علمه في العربية إلى تغيير البعض من الكلمات لم تكن متداولة عند العرب فقد قال أبو الهلال العسكري في ديوانه المعاني، ذكر بشار في قصيدة له دالية بناها على فتح حرف الردف* فوقع له فيها لفظا«صِنْدَدْ»، و« رِمْدَدْ» ففتح داليهما.

ويؤكد "مُحَمَّد بن الحبيب" أنه رواها بفتح الدالين والفتح خطأ، إذ ليس في العربية **فِعْلَلَ** إلا **دِرْهَمْ** وَ**هِجْرَع** (الطويل الأحمق) و**هِبْلَعْ** (الكثير البلع) و**قِلْمَمْ** (الكثير القلع للأشياء)، قال أبو الهلال:" وكابر في فتح الدالين كما كابر في فتح الراء من « **رَدَمْ**» في القصيدة التي أولها .

[1]: مصطفى السيوفي، أمراء الشعر في دولة بني عباس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص17.

*: الحرف الذي قبل حرف الروي على اصطلاح المتقدمين، وإن كان أهل العروض لا يسمون الردف إلا الواو والياء اللتين إذا وقعتا قبل حرف الروي.

أفيض دما إن الرزاب الصاقيم، ومن إدلاله بعلمه أيضا ارتكابه ما لا يجوز في اللغة عند الضرورة علما بأنه لا يتهم بالجهل، فسلك مسالك شعراء العرب في إقدامهم على ما يسبب الإقدام عليه استقى الوجوه في اللغة.

وقد قال بشار في هذا:

زري روحا فلن تجدي كروح ** إذا أزمت بلا ألسنة الجماد.**[1]

فقوله « زري» صوابه "زوري" بإثبات الواو التي هي نفي الكلمة، إذ لا موجب لحذفها، فإنها حذفت لأمر المذكر لالتقاء الساكنين، إذ الأمر مجزوم ، وأما في أمر المؤنثة فلا موجب لحذفها، لأن ما بعدها متحرك بحركة مناسبة الياء.

ويقول أيضا:

دع عنك حمادا وخلقانه * لا خير في خلقان حماد.**[2]

فاستعمل خلقان بمعنى الخلق، والمعروف أنه جمع خلق، وهو الثوب الرث، ولا يصح أن هذا القياس على جمع خلق، إذ ليس من باب واحد ولا أن يكون مصدرا للكفران والغفران والشكران، فتعين أن يكون قد سمح هذا اللفظ من العرب أو رأى جوازه اكتشافه.

ويقول أيضا:

[1]: بشار بن برد، الديوان، ص156.

[2]: المرجع نفسه، ص99.

وأفلت يمري ذات عبق كأنها * حذارية من رأس نيف تدلت.**[1]

فلقد استعمل كلمة حذارية للصخرة من الجيل والمعروف في اللغة حذرية، فلعله حفظ عن العرب حضارية بالإشباع، أو لعله أراد النسب إلى الجمع أي واحدة من هذا الجمع، فيكون شديد الياء فهذا كله نظرا لمتانة معانيه التي تزداد عندما يلج محترف التركيب حيث اللعبة الكبرى التي لا ينزل ميدانها إلا أصحاب السواعد المفتولة[2].

ويبدو من خلال التركيب في شعر بشار أنه لم يعتمد فقط على جزالة ألفاظه وحسن سبكها، فقد كانت جميلة وعباراته أيضا متناسقة ومترابطة فيما بينها، فكانت ذات لغة سليمة، فصيحة ومسترسلة " فبدا شعره جزل اللفظ، ساحر اللفظ، جميل التصوير سلس التعبير".

فيعترف النقاد جميعا بأن شعر بشار كان المجاز الذي عبر عليه الشعر صحراء الحياة القاسية ومغاور البداوة إلى دقة الحضارة ومجالي الحداثة وطرائف العبارات ووارف الأساليب، ومع إكثاره وارتجاله في كثير من الحالات يقرر النقاد أن شعره قوي الجرس حسن السبك، جيد الحبك، سلس الكلمات عميق الخيال بديع التصوير وأن له من المعاني المخترعة، والعبارات المبتدعة والصور الخلابة ما جعله رأس الشعراء المحدثين وزعيم طبقات المولدين.[3]

---

[1]: بشار بن برد، الديوان، ص11.

[2]: عدنان عبيد الله، شعر المكفوفين في العصر العباسي، ص130.

[3]: المرجع نفسه، ص130.

الخاتمة

سعى البحث حثيثا إلى التعريف بمصطلح الغموض ومكانته في الشعر العباسي وتحديدا في شعر بشار بن برد، والذي تخلص إلى النتائج التالية:

1. يُمكن تعريف الشعر العباسي بأنّه الحلقة الثالثة بين حلقات الشعر العربي القديم بعد الشعرين الجاهلي والأموي في العصر الإسلامي، ويُشار إلى أنّ الشّعر العباسي قد حَظِي بمكانةٍ عاليةٍ في تلك الفترة بفضل الدّعم الكبير الذي جاء من الخلفاء والأمراء، وبلوغ الأحوال المعيشية تَحسّناً ملحوظاً عن الفترات التي سبقتها.

2. من الجدير ذكره أنّ الشعر العباسي لم يقتصر أثره وتطوّره على كونه مادةً شعريّةً بل تجاوز ذلك ليصل إلى علومه أيضاً، فبرز التطور بظهور الأوزان الشعريّة البالغ عددها ستة عشر بحراً على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي والأخفش، وبذلك أُعيد الفضل إلى العباسيين في ظهور علم العروض.

3. انفرد الشعر العباسي بما تناوله من مواضيع مهمّة، فضمّت كافة مواضيع وأطياف المجتمع العباسي في تلك الفترة، حتى أصبحت هذه القصائد الشعرية بمثابة مرجعاً موثوقاً به للاطلاع على الأحوال الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الدولة العباسية خلال تلك الفترة.

4. يُقصد بمصطلح استخدام الشعراء لمفردات وتراكيب نادرة الاستخدام عادةً، لا في اللغة اليومية ولا قصائد الشعراء وتعمل هذه الألفاظ على وضع حاجز بين الشاعر والقارئ على حد سواء فينشأ

الغموض، فيبدأ القارئ بالمعاناة من الغموض النسبي.

5. الغموض مصطلح أدبي وسمة فنية تزيد الشعر جمالا وابداعا، وتخرجه من دائرة الملل والوضوح.

6. لعل من أبرز الشعراء العرب الذين شاع استخدامهم لأسلوب الغموض في أشعارهم وفي العصر العباسي بالتحديد، نذكر: بشار بن برد.

7. يعتبر بشار بن برد من شعراء العصر العباسي، له نهج وبصمة مميزة في الشعر العباسي لا زالت متداولة لليوم.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

بشار بن برد، الديوان، تح: محمد بن الطاهر عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، د.ت.ط.

ثانيا: المراجع والكتب.

1. إبراهيم رماني، الشعر، الغموض، الحداثة (الد راسة في المفهوم)، ع7، ص21.

2. أبو الفضل جمال الدين مُحَّد بن مكرم بن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، م5، 1997.

3. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1.

4. أبوهلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، ط2، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت.

5. أبي تمام، الديوان، تح: مُحَّد عبده عزام، دار المعارف، د.ت، 1969.

6. أحمد أمين فجر الإسلام، البحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الآموية، مكتبة النهضة المصرية، ط08، 1975.

7. أحمد حسين القرني، بشار بن برد شعره وأخباره، مطبعة الشباب، د.ت.ط.

8. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، م3، 2003.

9. ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى إمرئ القيس، دار الآداب، ط2، 2008.

10.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعار، القاهرة، ط10، 1999، ج05.

11. عبد الله التطاوي، القصيدة العباسية، قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.ط.

12. عدنان عبيد الله، شعر المكفوفين في العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

13. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، بيروت.

14. مُحَمَّد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، 1972.

15. مُحَمَّد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتب الحديث، الويت، ط1، 1998.

16. محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الطباعة المحمدية القاهرة، د.ت.ط.

17. مُحَمَّد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي، دار الوفـاء، الإسكندرية، ط1، 2001.

18. مسعد عيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، مكتبة الملك الوطنية، السعودية، ط2، 1996.

19. مصطفى السيوفي، أمراء الشعر في دولة بني عباس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

20. وليام إمبسون، سبعة أنماط من الغموض، تر: صبري مُحَمَّد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط،

ثالثا: المجلات والمقالات العلمية.

1. إيمان الحياري، مفهوم الشعر العباسي، مقال الكتروني، تاريخ النشر: 2018/11/01، تاريخ الزيارة: 2024/06/10.

2. مُحَمَّد سالم علي الرجوبي، المصطلحات الدالة على الغموض عند قدماء اللغويين والنحاة والبلاغيين-دراسة معجمية دلالية-نماذج مختارة، ع27، مجلة البحوث الأكاديمية، 2023.

3. ياسمينة مُحَمَّد محمود عامر، خصائص الشعر في العصر العباسي، ع8، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث، 2015.

رابعا: المواقع الالكترونية.

www.factorypdf.com

www.elmaerefa.com

www.mwdou3.com

الفهرس

الفهرس

الواجهة
شكر وتقدير
إهـداء
مـقـدمــة:.....أ
مدخل: ماهية الشعر العباسي
تمهيد:.....5
1.مفهوم الشعر العباسي: 5
2.خصائص الشعر العباسي: 7
الفصل الأول مصطلح الغموض في الشعر العربي
تمهيد:.....16
.1تعريف الغموض:.....16
.2مصطلح الغموض في النقد القديم: 20
3.الغموض والتجربة الشعرية للشاعر الجاهلي: 25
الفصل الثاني: تجليات الغموض في شعر بشار بن برد
.1التعريف بالشاعر:.....29
.2غموض الألفاظ:.....32
.3غموض التركيب:.....34
الخاتمة:.....35
قائمة المصادر والمراجع.....35
الملخص

الملخص

ملخص الدراسة:

وقد خلص في هذه الدراسة أن العصر العباسي عرف على مستوى الشعر بوادر عديدة لمختلف المصطلحات اللغوية التي ميزت الشعر العباسي، وهذا راجع لمظاهر الحياة التي صاحبت هذا العصر وموجة الاختلاط بالثقافات المختلفة.

واصطدمت مظاهر التجديد بأقلام شعراء العباسي واستحدثت سمات وخصائص فنية على مستوى اللفظ والتركيب، لتضفي على العمل الشعري طابعا ابداعيا فريدا ومميزا.

الكلمات المفتاحية: الشعر العباسي، الغموض، بشار بن برد.

Study summary:

It was concluded in this study that the Abbasid era was known at the level of poetry by many signs of various linguistic terms that distinguished Abbasid poetry, and this is due to the aspects of life that accompanied this era and the wave of mixing with different cultures.

The manifestations of innovation collided with the pens of the Abbasid poets and introduced artistic features and characteristics at the level of pronunciation and composition, to give the poetic work a unique and distinctive creative character.

Keywords: Abbasid poetry, mystery, Bashar bin Burd.